القرار «خائناً»؛ كما رأت في من يعارض القرار وكأنه يعارض الماركسية اللينينية؛ أي انهم ربطوا بين الموقفين. على هذا الأساس، عندما عاد المرحوم اميل توما الى البلاد، أجريت محاكمته، لأنه عارض قرار التقسيم، وأُبعد عن قيادة الحزب.

منذ اللحظة هذه، بدأ الانحراف القومي اليهودي في الحزب، لأن الموقف من قرار التقسيم ليس قضية ايديولوجية مبدئية تقرر شيوعية الحزب، ولأن اندريه غروميكو عندما أيّد قرار التقسيم، في الامم المتحدة، لم يقل انه أيّده بموجب الموقف اللينيني، وانما قال ان تأييد بلاده للقرار جاء لأنه «أهون الشرين» في الظروف التي خلقها الاستعمار والتي لم يكن من الممكن، ازاءها، إلا اتخاذ موقف مؤيد، في حين ان الحزب، عندنا، تعامل مع اميل توما على انه «خائن» وجرّده من مسؤولياته الحزبية لفترة طويلة من الزمن.

بقيت انا في قيادة فرع العصبة في الناصرة، الى ان تم توحيد الحزب، في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٤٩، بين الشيوعيين العرب (العصبة)، والشيوعيين اليهود، واتحدنا في اطار الحزب الشيوعي الاسرائيلي، لنبدأ، بعدها، مرحلة جديدة، حملت بين ثناياها كثيراً من الايجابيات، من جهة، وكثيراً من السلبيات والانحرافات، من جهة اخرى.

طبيعة الخلاف مع الحزب الشيوعي

ان الخلافات التي انفجرت مؤخراً (في أوائل ١٩٨٧) بيني وبين الحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكح)، ليست وليدة الصدفة، ولا بنت ساعتها؛ فقد كنت، في السابق، اعبّر عن مواقفي وانتقاداتي للحزب داخل الاطر الحزبية؛ وكنت حريصاً على عدم تسرّبها الى الخارج. وقد كانت، وما زالت، انتقاداتي تتركز على القضايا الايديولوجية، والمواقف السياسية، والشكل التنظيمي للحزب؛ وعبّرت عنها في مؤتمرات الحزب. فالتنظيم القائم حالياً، هو انعكاس لسياسة وايديولوجية معيّنة تبناها الحزب منذ ان حدث التوحيد بين الشيوعيين العرب واليهود؛ وربما يعود الى قبل ذلك. فكما سبق وذكرت، بدأ الانحراف يظهر عندما ربط الحزب بين تأييد قرار التقسيم والماركسية اللينينية، وعندما «خوّن» كل من يعارض التقسيم. ثم ظهرت الخلافات الداخلية، فيما بعد، حول تسمية الحزب: هل هو حزب شيوعي فلسطيني ؟ أم حزب شيوعي اسرائيلي ؟

الفرق بين التسميتين قد يبدو لغوياً، إلا انه ينطوي على ابعاد كبيرة. الحزب الشيوعي الاسرائيلي مرّ في مراحل مختلفة، وطرأت عليه تغيّرات كبيرة. فمنذ ان اتحدنا، في العام ١٩٤٩، حدثت سلسلة من الصعود والهبوط في تاريخ الحزب ومسيرته، وهناك عدد من الاخطاء الايديولوجية والسياسية التي بدأت بالظهور، واستمرت في التراكم حتى العام ١٩٦٥، أي حتى وقوع الانقسام داخل الحزب. فهذا الانقسام لم يأت نتيجة امور تنظيمية وايديولوجية بسيطة، على الرغم من أن تقرير الحزب حوله لم يكشف الحقيقة كاملة، واقتصر على ذكر ان جماعة ميكونس ـ سنيه، المنشقة، اتخذت مواقف اعتبرت فيها حركة التحرر العربية حركة رجعية في مضمونها، وتهدف الى القضاء على دولة اسرائيل؛ كما تدّعي هذه الجماعة بوجود صلة بين اسرائيل ويهود العالم، وتطالب بالانفتاح على الاحزاب الصهيونية، وخصوصاً الحزب الحاكم؛ كما تدعو هذه الجماعة الى محاربة «جراثيم القومية العربية» ـ حسب وصفها ـ وتقول ان الحزب الشيوعي الاسرائيلي سوف يأخذ على عاتقه محاربة الشوفينية القومية العربية في الخارج، وداخل الاحزاب الشيوعية العربية.

ان الامور التي وردت في تقرير الحزب حول موقفه من جماعة ميكونس ـ سنيه صحيحة، لكنها ليست كاملة. فهناك امور اخرى لم يتطرق اليها الحزب في نقاشاته وتقاريره؛ وهذه الامور بقيت قائمة حتى يومنا هذا، وهي استمرار للخط الذي وضعه ميكونس للحزب، مثل دستور الحزب، الذي يلزم الاعضاء بالاممية البروليتارية والوطنية الاسرائيلية، معاً. وفي اعتقادي، ان هذا الموقف غير اممي، وهو تعبير عن منطلقات الحزب القومية اليهودية، لأن الوطنية الاسرائيلية تعني ـ حسب تعبير ميكونس ـ الموقف القومي اليهودي للحزب، وان العرب الموجودين في الحزب يشكلون، فقط، قوة انتخابية. من هنا، كان الحزب الشيوعي الاسرائيلي يتخذ مواقف سياسية وايديولوجية لا تتفق مع الموقف الاممي؛ فكان الاسرائيلي يرفع الاعلام